استمارة مشاركة في الملتقى الوطني:

التكامل المعرفي والمنهجي بين علوم اللغة والدراسات القرآنية

الاسم: عبد الله اللقب: باوني

جامعة الانتماء: جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي –تبسة–

المنهج السياقي ودلالة النص القرآني –دراسة في المنهج والأثر–

محور المداخلة: المحور الثالث: القضايا المنهجية في الدراسات القرآنية

ملخص المداخلة:

حقق الدرس اللساني المعاصر كثيرا من النتائج المهمة في دراسة اللغة والكشف عن جوانب كثيرة من أسرارها التي طالما ظلت عصية على الدارسين السابقين، ويرجع الفضل في تحقيق تلك النتائج، بقدر كبير إلى ما وضع من مناهج علمية معاصرة في البحث اللغوي أسهمت في إزاحة الأمور عن كثير من خفايا اللغة البشرية، وضبط دلالات تراكيبها أكثر من ذي قبل، وإذ يعد المنهج السياقي أحد أبرز تلك المناهج التي عول عليها الباحثون في تحقيق نتائجهم المتميزة في مجال الدرس العلمي اللغوي فإن المتأمل في تراكيب النص القرآني الكريم لا يفتأ يقف عند كثير منها مما لفه غموض دلالي رغم ما حظيت به من دراسات وآراء كثيرة.

إن موضوع بحثنا يتنزل في هذا الإطار المشكل من ثلاثية المنهج السياقي والتراكيب القرآنية ودلالاتها في محاولة للوصول إلى هدفه المنشود من خلال الإجابة عن التساؤل الآتي: هل تحقق دراسة التراكيب القرآنية المتميزة بالغموض الدلالي وفق المنهج السياقي جديدا دلاليا متميزا عن سابقيه؟ وهل تملك آليات هذا المنهج الحلول المأمولة من اللغويين والمفسرين على حد سواء والقدرة على حل من انعقد من دلالتها وهو ما يتآلف مع المحور الثالث والموسوم بالقضايا المنهجية في الدراسات القرآنية في جانبه المتعلق بالمناهج السياقية وتوظيفاتها في الدراسات القرآنية في محاولة من الباحث لإثرائه.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، التراكيب، الدرس اللغوي، مناهج البحث اللغوي، الدلالة، المنهج السياقي.

مقدمة:

اللغة نظام لربط الكلمات بعضها ببعض وفقا لمقتضيات دلالتها العقلية لكي تتمكن من القيام بوظيفتها الأساسية كوسيلة للاتصال بين الناس، وعماد كل لغة ألفاظها وصيغها، وأساسها ما تمتلكه من مفردات قبل ما يمكن أن تشكله تراكيبها أو حتى قواعد نحوها التي تنظم هذه التراكيب أو قواعد بلاغتها؛ لأن التراكيب تؤلف في الأصل من المفردات، ووظيفة القواعد النحوية أساسا تنظيم العلاقات بين المفردات أو الكلمات والتراكيب من أجل بناء عبارات واضحة المعاني، في حين "تنحصر وظيفة قواعد البلاغة في تنظيم وتنسيق العلاقات بين هذه الجمل والعبارات بما يوافقها من وجوه حسن البيان وأساليب القول"[1].

وليس من صفات اللغات وأنظمتها الثبات، فمكوناتها تتغير يوما بعد يوم مما يخلق إشكالا حقيقيا يتمثل في كيفية تفسيرها حدثا أو فعلا (شكلا ومعنى)، الأمر الذي دفع الباحثين إلى الانطلاق أساسا في تحليل اللغة أولا على المستوى الاختياري (البحث في المفردات الأصل)، وعلى هذا تأسست مقاصد الشريعة الإسلامية، يقول تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ} [إبراهيم: 04]، وهي إشارة واضحة لارتباط الكلمة بمحيطها اللغوي والثقافي والبيئي والزمني، والسبيل الذي يقتحم به الإنسان العالم المحيط به والخارجي البعيد عنه، بل هي "المفتاح الوحيد الذي يتوصل به الإنسان إلى اقتحام الكون من حوله"[2]، وانعكست هذه الفكرة على جهود الدارسين السابقين في ظهور مصطلحي: المقام والسياق، وانكشف لهم أن المعنى لا يحصل ويتأتى إلا بتنسيق الوحدة اللغوية أي وضعها في سياقات مختلفة، ما أحدث تغييراً جوهريا في النظر إلى المعنى وارتباطه بالسياق اللغوي (التركيبي) والسياق الخارجي ومتعلقاته.

وإذا كان المعنى اللغوي أو الدلالة التركيبية يتعلق بترتيب المفردات وما يحصل عن ذلك من دلالة، فإن المعنى المقامي (السياق الخارجي) معنى "يفهم من الموقف الخارجي الذي قيل فيه الخطاب أو من القرائن الخارجية المحددة له والمبنية على المكان والزمان والأفراد المشاركين في الحدث والمناسبة التي قيل فيها وقناة التواصل، وقد أعطى علماء المسلمين سياق المقام (السياق الخارجي) أهمية كبيرة في تفسير النص القرآني وفي استنباط الأحكام الشرعية، فبحثوا أسباب النزول والظروف الخارجية التي تتعلق بالنص، واللفظ يعطي أكثر من دلالة، يحددها السياق اللغوي والسياق الخارجي"[3].

---

[1]- أحمد محمد معتوق، نظرية اللغة الثالثة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2005، ص53.

[2]- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، مصر، ط1، 1981، ص53.

[3]- محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دار النشر للجامعات، مصر، ط1، 2005، ص171، 172.

لقد نظر المفسرون بدورهم إلى الألفاظ القرآنية على أنها متفاعلة مع الواقع ومفسرة لوقائع الحياة الاجتماعية التي نزل من أجلها النص القرآني الكريم، فلم يتمسكوا بالمعنى المعجمي إذا كان لا يتفق مع السياق الاجتماعي أو السياق اللغوي الذي ورد فيه[1]، كما يعد الجاحظ من بين أوائل البلاغيين الذين أسسوا لفكرة مقتضى الحال، عندما أحب للغة القرآن الكريم أن ترقى من خلال القراءة السياقية التي تربط بين المقولات والمقامات من خلال الكشف عن الاستخدامات المتعددة للغة واستنباط دلالاتها، واتفق معهم كثير من العلماء العرب في مجالات أخرى كالتفسير والفقه والنحو... في أن السياق هو "العش الذي تحيا فيه اللفظة، وهذا ما يؤكد جانب الوظيفة الاجتماعية للغة، ومن هنا فإن تعدد المعنى الوظيفي للأداة ودلالتها يكون حسب ما تفيده من السياق، والسياق هو الذي يعكس تشابك العلاقات بين المعطيات الصرفية والنحوية"[2].

أولا: الحضور المفاهيمي والتطبيقي للسياق في التراث العربي:

يعد السياق من المفاهيم المنطقية العقلية التي يحتكم إليها المتكلمون في تواصلهم اللغوي وخطاباتهم عبر العصور[3]، فهو "من المصطلحات التي يكثر تداولها في مجالات عديدة كاللغة والنقد الأدبي والبلاغة وأصول الفقه وكان الارتباط بيه وبين كل من مصطلحي (الدلالة) و(المعنى) اللذين لا يقلان عنه في تعدد مجالات الاستعمال في العلوم المختلفة"[4]، والمجتمع العربي قديما وحديثا لم يشذ عن غيره من الأمم في استعمال وتطبيق هذا المفهوم (السياق)، والمتأمل في صور حياة العرب في الجاهلية التي وصلتنا في شكل شعر جاهلي وحكم وأمثال وغيرها يجد الخطيب من العرب "إذا ارتجل كلاما في نكاح، أو حمالة، أو تحضيض، أو صلح، أو ما أشبه ذلك لم يأت به من واد واحد، بل يفتن: فيختصر تارة إرادة التخفيف، ويطيل تارة إرادة الإفهام، ويكرر تارة إرادة التوكيد، ويخفي بعض معانيه حتى يغمض على أكثر السامعين، ويكشف بعضها حتى يفهمه بعض الأعجميين، ويشير إلى الشيء، ويكني عن الشيء، وتكون عنايته بالكلام على حسب الحال، وقدر الحَفْلِ، وكثرة الحشد، وجلالة المقام"[5]، فضلا عن كلام الله المعجز وما جاء فيه من تراكيب قرآنية معجزة للأولين والآخرين انسهم وجنهم، والمتمعن في آياته وكلماته يلمس حضوراً بارزاً لمفهوم السياق من خلال طريقة استعمال الكلمات بناءً ودلالة في وجوه أسلوبية ودلالية متعددة ومعجزة ضمن مباحث أسرار المعاني التي انكب على البحث فيها أغلب علماء العرب القدامى بحثا عن دلالات هذا النص الكريم

---

[1]- ينظر: عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2007، ص95.

[2]- عمار ساسي، تحليل النص الأدبي ومبدأ ربط النحو بالبلاغة، مجلة اللغة والآداب، ع8، ص220.

[3]- ينظر: عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص99.

[4]- عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق، ط1، 1991، ص10.

[5]- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط2، 1973، ص13.

وتفسيره[1]، والمقصود بالسياق التوالي، وينظر إليه من ناحيتين: أولاهما توالي العناصر التي يتحقق بها التركيب والسبك، والمقصود به سياق النص أو السياق اللغوي، والثانية توالي الأحداث المصاحبة للأداء اللغوي، وتسمى سياق الموقف[2]، وسياق النص إما أن يكون قرينة تركيبية أو دلالية، والأولى قوامها العلاقات النحوية والمعجمية والثانية قوامها العلاقات النصية، أما سياق الموقف فإما أن يكون قرينة واقعية أو عقلية، والواقعية مبناها على العرف أو أحداث التاريخ أو مواقع الجغرافيا أو العلاقات العملية في إطار الموقف الذي حدث فيه الكلام، وأما العقلية فإنها تنشأ عن تداعي المعاني بحيث يثير بعضها بعضا في تسلسل منطقي (طبيعي لا صوري)[3].

والمتمعن في تراثنا العربي يجد علماء العرب القدامى قد أشبعوا موضوع السياق ودوره في الدلالة بحثا سواء على مستوى اللفظ لمفرداته على مستوى التراكيب، وانتبهوا إلى أهمية إيلاء السياق بشقيه اللغوي وغير اللغوي المكانة التي سيتأهلها في ثنايا تلك البحوث وما تضمنته من شواهد شعرية ونثرية وقرآنية ومن الأحاديث النبوية الشريفة.

ورغم اختلاف اهتماماتهم العلمية ومشاربهم المعرفية (المفسرون، الفقهاء والأصوليون، البلاغيون، الأدباء، النقاد، اللغويون والنحويون) إلا أنها "تصب في مصب واحد يؤكد اهتمامهم بالسياق وأهميته في بيان الدلالة بما لم يزد عليه المعاصرون إلا ترتيبا وتصنيفا، أما الإطار العام للسياق وملابساته ودوره في تحديد الدلالة على وجه الدقة، فللقدامى العرب فضل السبق والريادة"[4].

إن إطلالة على أول المعاجم العربية وضعا، معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ) فإننا نجدهُ يوظف في شرح كثير من المواد في معجمه وسائل متعددة، من أهمها التفسير بالسياق، وذلك بأن يدخل اللفظة في تركيب ينسجم والمعنى الذي يراه، وقد يختار لهذا السياق آية قرآنية كريمة أو حديثا نبويا شريفا أو بيتا شعريا أو مثالا معروفا وغيرها من أساليب الاستشهاد والبرهنة.

ففي شرحه مثلا لمادة (ب د ع) يقول: "والبدع: الشيء الذي يكون أولا في كل أمر، كما قال عز وجل: (قل ما كنت بدعا من الرسل) أي لست بأول مرسل، ثم يدعم رأيه بشاهد شعري في إطار الإشارة إلى معنى هذه المفردة في سياقه الذي يجب أن يفهم، فنشير إلى قول الشاعر:

فلستُ ببدعٍ من النائبات ونقض الخطوبِ وإمرارها"[5]

---

[1]- ينظر: هادي نهر، النحو القرآني الدلالي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2018، ص323.

- وينظر أيضا: فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، دار عمان، الأردن، ط4، 2006، ص14.

[2]- ينظر: حسان تمام، مقالات في اللغة والأدب، ج2، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2006، ص65.

[3]- نفسه، ص66.

[4]- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2008، ص219.

[5]- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ج2، مؤسسة دار الهجرة، إيران، ط2، 1405هـ، ص45.

وهذا يدل على فهمه وتوظيفه للسياق كما ضربنا في المثال السابق، حيث أورد المعاني المتعددة للفظة نفسها في كل مرة حسب السياق الذي وردت فيه.

لا غرابة في أن التحليل النحوي في العربية يعتمد في بعض جوانبه على فهم المعنى الذي يحدده السياق، فقد وجد في العربية كثير من الأدوات التي تتحد صيغتها وتتعدد معانيها واستعمالاتها، ووجد التضمين في الأفعال حيث يستخدم فعل في معنى فعل آخر، وغير هذا وذاك ما يعتمد في تحليله على فهم سياقه، وليس كل هذا لبس أو غموض، لأن الاستخدام اللغوي في السياق يكشف عن كل هذه الجوانب كشفا واضحا بتقديم وسائل الترابط الخاصة بأجزاء التركيب في بناء الجملة، وأدى هذا الدور المهم النحويون العرب بكفاءة عالية.

ثانيا: دور المنهج السياقي في تحقيق دلالة التراكيب القرآنية:

اللغة نظام عند القدامى والمعاصرين مركب من أنظمة فرعية ينشأ من تضافرها جميعا نظام أكبر (اللغة)، ومن المعروف أن طاقة الذاكرة الأنانية محدودة مما ينعكس على المباني اللغوية التي يمكن أن ينشئها الإنسان، وإذا وضعنا "الكلمات المحدودة من المباني إزاءها يريد الإنسان أن يعبر عنه من المعاني ظهر الفرق شاسعا لأن المعاني غير متناهية ولا محدودة"[1].

وبين معاني اللغة نوعان من العلاقات: علاقات وفاقية أو المشابهات وعلاقات خلافية أو الفروق، ومن شأن العلاقات الوفاقية أن تدعوا إلى "اللبس"، كما أن من شأن العلاقات الخلافية أو الفروق أن تحل أمر اللبس، وقد احتاطت اللغة لذلك بمجموعة من الدلائل والقرائن المعنيتان على ما تتحقق به الفروق ويتضح به المعنى (القرائن اللفظية)، غير أن "الاتفاق قد يعرض بين البنية والبنية أو بين الإعراب والإعراب أو حتى بين التركيب والتركيب في صورتهما التامة، فينشأ عن ذلك اللبس إلا أن تقوم قرينة سياقية أو خارجية بالحيلولة دون ورود هذا اللبس"[2].

هذا فيما يتعلق باللغة البشرية عموما، أما إذا اتخذنا لغة القرآن الكريم فإن الأمر يبدو مختلفا تماما بل يأخذ في أحايين كثيرة طابع الصعوبة البالغة، فالحرف في القرآن الكريم قد يتسبب في تغيير دلالة الآيات القرآنية بسبب تغيير رسمه في نفس الكلمة في آيتين مختلفتين، ويمثل لذلك الدارسون بكلمة (رحمة)، فقد ورد حرف التاء في آخرها في بعض الآيات مربوطة، مفتوحة أو مبسوطة.. وفي بعض الآخر وردت مفتوحة، فكيف يمكن لنفس الحرف مرسوما بصورتين مختلفتين أن يسهم في تغيير المعنى؟ وهل للسياق أثر في تحديد معالم هذا التغيير؟

لذا نستعرض بعض الآيات التي قد وردت فيها كلمة (رحمة) بتاء مفتوحة في آخرها، قال الله تعالى: {قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۖ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ} [هود: 73]، إن السياق الذي جاءت

[1]- تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ج2، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2006، ص32.

[2]- نفسه، ص33.

في إطاره هذه الآية يخبرنا عن تعجب زوجة سيدنا إبراهيم عندما استقبل مجموعة من الضيوف (الملائكة) ببيته، وبينما الحوار قائم بينهم بشأن معاقبة قوم سيدنا لوط، ضحكت زوجته فبشرها الضيوف (الملائكة) بغلام فتعجبت من هذا الأمر الخارج من نطاق المألوف، فهي امرأة مسنة وزوجها شيخ كبير، لذا جاءها الرد (رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد)، فدلالة (رحمت) في هذا السياق بعد مرور السنين الطويلة، وتعدي الزوجة سن الحمل وإنجاب الذرية، وهرم زوجها ارتبطت بالبسط بعد القبض وبالفرج الذي جاء بعد الشدة، ولا عجب في ذلك فهي مضافة مباشرة للفظ الجلالة عزّ وجل.

وقد جاءت في مواضع أخرى كثيرة في القرآن أيضا مقترنة بما ذكرناه من دلالة اتساع قدرة الله ورحمته التي وسعت كل شيء، قال تعالى: {ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا} [مريم: 02] الذي طالما ناجاه وناداه أن يرزقه ذرية تخلفه من بعده، وقال أيضا: {فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الروم: 50]، فهذه الآيات العظيمة التي لا يستطيع ينشؤها إلا الله ارتبط فيها الرسم بالدلالة وتعانقا، أما الرحمة التي جاءت فيها التاء مربوطة فهي رحمة لم تحقق للسائل بعد، فمن يعبد الله ويقنت له ويطيل سجود الليل ويحذر الآخرة فهو يرجو رحمة في الآخرة التي هي ممتنعة دونه في هذه الحياة الدنيا، وينتظر تحققها يوم القيامة إن شاء الله، قال تعالى: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ} [الزمر: 09] فهي رحمة مرجوة موعودة.

ومن مواضع احتمال اللبس في نصوص القرآن الكريم في معنى البنية الصرفية ما بيّنه الدكتور تمام حسان من أمر الماضي والأمر من تفاعل وتفعل عند اسنادهما إلى الألف والواو أو النون، فالفعلان (تقاتل) و(تعلمه) لهما نفس الصيغة الصرفية عند اسنادهما إلى ضمير المثنى الغائب في الماضي أو عند اسنادهما ضمير جمع الإناث الغائب أو ضمير جمع الإناث المخاطب، وعند اسنادهما إلى ضمير الجمع الغائب أو ضمير الجمع المخاطب فهما (تقاتلا، تعلما) في الماضي، وأنتما (تقاتلا، تعلما) في الأمر لهما نفس الصيغة، وكذا هم (تقاتلوا، تعلموا) في الماضي، (وأنتم تقاتلوا، وأنتم تعلموا) في الأمر أيضا لهما نفس الصيغة، إضافة إلى (هن: تقاتلن، تعلمن) في الماضي، و(أنتن تقاتلن، تعلمن) في الأمر لهما نفس الصيغة، وغير خاف ما يكن أن يترتب عن ذلك من صعوبة في تحديد الدلالة في تراكيب تشمل مثل هذه الصيغ المختلفة زمانا والمتوافقة شكلا وبنية، وللتمثيل لذلك نأخذ مثالا من القرآن الكريم، ففي قوله تعالى: {قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} [النمل: 49]، فلولا أن "ما تحمله الآية من القرائن السياقية كالتناقض في موقف القائلين في فعلهم وقولهم قد أوضحت أن الموقف موقف مكيده

وأن كل واحد منهم أراد أن يستوثق من كتمان الآخرين فطلب منهم القسم، فأصبح واضحا أن تقاسموا فعل أمر ولو لم يكن فعل أمر لكان ماضيا بدلا من الفعل قالوا الذي سبقه في الكلام ولا لبس المعنى"[1].

كما اهتموا بالكشف عن أثر الحروف في تحقيق الدلالة الكلية للنص فبحثوا "دلالاتها واتساع معانيها وموقعها من السياق... وفي دراستهم لحروف الجر ظهر أن الاستعمال القرآني هذب استعمال حروف الجر في القرآن الكريم، فكان النحاة دقيقين في إبقاء الحرف على طبيعته الأصلية، واتساع دلالته الثانية المكتسبة في السياق الذي تحكم فيه المعنى والقرائن، فقد تنبه علماء العربية على موقعية (الحروف) من السياق، وعلاقاتها مع غيرها في التركيب، ويظهر فيها دقة الاستعمال القرآني في اختصاص حروف دون غيره –ولاسيما– في سياق الآيات المتشابهات"[2].

ولا يفوتنا في دراسة أثر السياق بجميع أنماطه في تحديد دلالات الألفاظ ذكر جهود بعض علماء العرب ممن أثروا هذا المجال ببحوثهم، فعبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت276هـ) مثلا في كتابه (تأويل مشكل القرآن) درس ظاهرة تعدد المعنى ذاكرا اللفظة الواحدة وجملة معانيها ممثلا لبعض منها بآيات من القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية الشريفة، أو بشيء من كلام العرب، يقول في باب اللفظ الواحد للمعاني المختلفة مجموعة كبيرة من الألفاظ في هذا الباب مثل:

يقول في مفرده (قضى):

أصل قضى: حَتَمَ كقول الله عز وجل: {فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ}[الزمر: 42]. أي حَتَمَهُ، ثم يصير الحتم بمعان، كقوله: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إلا إِيَّاهُ} [الإسراء: 23] أي أمر، لأنها لما أمر حَتَمَ بالأمر، وكقوله: {وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ} [الإسراء: 04] أي أعلمناهم لأنه لما خبرهم أنهم سيفسدون في الأرض، حتم بوقوع الخبر.

وقوله: {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ} [فصلت: 12] أي صنعهن، وقوله: {فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ} [طه: 72] أي فاصنع ما أنت صانع، ومثله قوله: {فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ} [يونس: 71] أي اعملوا ما أنتم عاملون ولا تنظرون[3].

ويعتبر اللغوي محمد بن القاسم الأنباري (ت328هـ) من أبرز اللغويين الذين تناولوا السياق في دراسته المتعلقة بموضوع الأضداد، والذي خصص له كتابا سماه (الأضداد) ردّ فيه دعوى القائلين وأبطل حججهم، "لنقصان

---

[1]– تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ص37.

[2]– هناء محمود إسماعيل، النحو القرآني في ضوء لسانيات النص، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2012، ص206.

– وينظر أيضا: أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دس، ص308.

– وينظر أيضا: محمد محمد داود، القرآن الكريم وتفاعل المعاني، دراسة دلالية لتعلق حرف الجر بالفعل وأثره في المعنى في القرآن الكريم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2002.

[3]– أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط2، 1973، ص441.

حكمتهم، وقلة بلاغتهم، وكثرة الالتباس في محاوراتهم، وعند اتصال مخاطباتهم، فيسألون عن ذلك ويحتجون بأن الاسم منبئ عن المعنى الذي تحته ودال عليه، وموضع تأويله، فإذا اعتور اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطب أيهمها أراد المخاطَب، ويطل بذلك معنى تعليق الاسم على المسمى"[1].

رده: الاسم منبئ عن المعنى الذي تحته ودال عليه موضع تأويله دليل على أمرين: أولهما؛ أن هؤلاء يؤمنون بأحادية الدلالة للفظة الواحدة، وأن الكلمة تحمل معنى واحدًا هو معناها المعجمي لا غير، وإضفاء دلالة أخرى عليها إنما هو طريق للتعمية والإلغاز وهو أمر مخالف لطبيعة اللغة التي هي بالأساس للفهم والإفهام والمباشرة، والآخر؛ وهو ما يهمنا أن الأنباري لا يقول بأحادية المعنى للفظ الواحد.

وجيب عن هذا الذي ظنوه وسألوا عنه بضروب من الأجوبة: "أحدهما؛ أن كلام العرب يصحح بعضه بعضا، ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه، واستكمال جميع حروفه؛ فجاز وقوع اللفظة الواحدة على المعنيين المتضادين؛ لأنها تتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر، فلا يراد بها في حال التكلم والإخبار إلى معنى واحد"[2].

من الأمثلة التي أوردها الأنباري للتدليل على رأيه السياق من الألفاظ المعروف أنها من الأضداد كلمة (جلل) التي تعني اليسير والعظيم، قول الشاعر:

كل شيء ما خلا الموت جللٌ والفتى يسعى ويلهيه الأمل[3]

ودلالة (جلل) عنده هنا بمعنى (اليسير)، أي كل شيء ما عدا الموت يسير، وهي دلالة تستنبط مما "تقدم قبل جلل وتأخر بعده... ولا يتوهم ذو عقل وتمييز أن الجلل هاهنا معناه العظيم"[4]، في إشارة واضحة منه إلى ما يسمى الآن القرائن اللفظية أو المقالية، إضافة إلى القرينة العقلية (قرينة معنوية) التي ذكرها في قوله: (ولا يتوهم ذو عقل وتمييز) التي تسمح للقارئ أو المخاطب التمييز بين المناسب من المعنى من غيره، لذا أضاف مثالا آخر للفظة ذاتها (جلل) بمعنى مضاد (العظيم) تأكيداً منه على إمكانية تراوح اللفظة بين دلالة ما ونقيض لها وقيام السياق بترجيح معنى على معنى.

---

[1]- محمد بن القاسم الأنباري، كتاب الأضداد، تحقيق مجد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دط، 1987، ص01، 02.

[2]- نفسه، ص02.

[3]- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق إحسان عباس، سلسلة التراب العربي، بيروت، لبنان، دط، 1962، ص165.

[4]- الأنباري، الأضداد، ص02.

وتأكيدا لآرائه وتوجهاته المتعلقة بالسياق ورصد الدلالة يشرح في كتابه (الأضداد) أمثلة أخرى تدعم توجهاته، يقول في شرحه للآية الكريمة: {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ} [البقرة: 249]، "أراد الذين يتيقنون ذلك، فلم يذهب وهم عاقل إلى أن الله عز وجل يمدح قوما بالشك في لقائه"[1].

فالعقل والمنطق، هنا يشيران بوضوح إلى أن الله عز وجل يمدح المتيقنين من لقائه، وليس الشاكين في ذلك، وهذا ما يؤكد أن القرائن السياقية كفيلة بكشف اللبس وتحديد دلالات ألفاظ الأضداد بيسر ووضوح.

لقد انتبه الأنباري أيضا إلى دور العلاقات التركيبية الوظيفية أو ما يسمى بـ(السياق النحوي)، فحضور عنصر نحوي أو غيابه يعد دليلا على معنى ما، ففي كلامه عن معاني لفظة (الظن) وتحديداً في معنييها غير المتضادين: الكذب والتهمة، يعتمد على عناصر نحوية تؤثر مباشرة في القول والجزم بأحد المعاني حين يقول في هذا الأمر: "والمعنيان اللذان ليسا متضادين؛ أحدهما الكذب والآخر التهمة، فإذا كان الظن بمعنى الكذب، قلت: ظن فلان، أي: كذب، قال الله عزّ وجل: {إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} [الجاثية: 29].

فمعناه: إن هم إلا يكذبون، ولو كان على معنى الشك لاستوفى منصوبيه، أو ما يقوم مقامهما، وأما معنى التهمة فهو أن تقول: ظننت فلانا، فتستغني عن الخبر لأنك اتهمته، ولو كان بمعنى الشك المحض لم يقتصر به على منصور واحد"[2].

وكل ما مرَّ معنا يؤكد دون شك رسوخ دور السياق في فكر الأنباري، ووعيه بأهميته وبقرائنه اللغوية المقالية وحتى عناصره النحوية، واقتناعه بدور وفعالية التراكيب النحوية ودورها في تأسيس دلالة صحيحة ومقبولة.

ومن جوانب التوظيف السياقي عند علماء العربية القدامى توسلهم السياق اللغوي لتحقيق الإعراب الصحيح، فابن هشام (ت761هـ) مثلا يرفض كل معرب: "يراعي ما يقتضيه ظاهر الصناعة ولا يراعي المعنى، وكثيراً ما تزل الأقدام بسبب ذلك، وأول واجب على المعرب أن يفهم ما يعربه مفرداً أو مركبا"[3].

فالسياق اللغوي عنده خطوة ضرورية توصل إلى المعنى النحوي أو الإعراب الذي هو مطلبه النحوي بالدرجة الأولى، ويمثل لذلك بشواهد أبعد فيها الجانب الدلالي والجانب السياقي والدلالة المترتبة عنه، لحساب ظاهر اللفظ، يقول: "ها أنا مورد بعون أمثلة بني فيها على ظاهر اللفظ، ولم ينظر في موجب المعنى، حصل الفساد، وبعض هذه الأمثلة وقع للمعربين فيه وهم بهذا السبب وسترى ذلك معينا"[4].

---

[1]- الأنباري، الأضداد، ص03.

[2]- نفسه، ص15.

[3]- ابن هشام، جمال الدين بن محمد، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، دط، 1985، ص684.

[4]- ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص684.

ومما ذكره بهذه المناسبة تخطئته لمن أعرب من النحويين كلمة (كلالة) في قوله تعالى: {وإِنْ كانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أوِ امْرَأَةٌ} [النساء: 12] تمييزاً لاعتباره إياها تعني الورثة إذا لم يكن فيهم أب فما على ولا ابن فما سفل[1]، واكتفائه بالسؤال عن معنى المعجمي أو الإفرادي للكلمة دون أن يتعدى ذلك إلى المعنى السياقي أو الآية الكريمة، ولذا فهو يرى أن الصواب في دلالة الآية أن " (كلالة) بتقدير مضاف، أي (ذا كلالة) وهو إما حال من ضمير يورث فكان ناقصة ويورث خبر، أو تامة فيورث صفة وإما خبر فيورث صفة، ومن فسر الكلالة بالميت الذي لم يترك ولداً ولا والداً فهي أيضا حال أو خبر، ولكن لا يحتاج إلى تقدير مضاف، ومن فسرها بالقرابة فهي مفعول لأجله"[2].

لقد أعطى الأنباري للمعنى السياقي أهمية في إعرابه (الكلالة) في الآية السابقة حسب المعاني التي يمكن أن تتصور لها، لذا فهو لم يفرض دلالة واحدة للكلالة في الآية بل ترك المجال مفتوحا لجميع الاحتمالات الممكنة ورودها، متجنبا أو فرض دلالة بعينها تدخله في باب التقول على كلام الله تعالى فاسحا المجال لباب الاجتهاد الذي يعتبر المعنى السياقي وضرورة مراعاته أحد أهم سبله، وبناءً عليه يكون إعراب (كلالة) في الآية السباقة كما يلي:

- مضاف إليه بتقدير مضاف أي (ذا كلالة)، وتعرب حالا أو خبراً إذا كانت كلالة بمعنى (الورثة) ولم يكن فيهم أب فاعلا ولا ابن فما سفل.
- حال أو خبر دون تقدير مضاف إذا كانت (كلالة) بمعنى (الميت) الذي لم يترك ولداً ولا والداً.
- مفعول لأجله إذا كانت (كلالة) بمعنى القرابة[3].

إن موضوع السياق وآلياته الإجرائية اتخذ وجوها عدّة على مرّ العصور عند اللغويين العرب خاصة، ومن البلاغيين والأصوليين أيضا، مما زاد في ثراء بحوثهم وقيمتها اتصال أبحاثهم اللغوية بلغة القرآن الكريم ونصه حتى أنهم أفردوا مجالا بحثيا سموه بالمشترك اللفظي أسهبوا في البحث في جوانبه واستخلاص الاحتمالات الدلالية للفظة وتراكيبها، وما جهود ابن جني والسيوطي وغيرهما شافية في هذا الباب، وعدّ بعضهم هذا المنحى البحثي في إطار النص القرآني جانبا إعجازيا فيه، فقد تقترب الكلمة الواحدة من عشرين وجها دلالي وهذا ما لا نجده في كلام البشر[4].

ويمكن توضيح الأمر بما تحمله كلمة (روح) من دلالات على وفق السياق الذي ترد فيه، فقد وردت لفظة (الروح) بمعنى الأمر {وَرُوحٌ مّنْهُ} [النساء: 171]، والوحي {يُنَزّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ} [النساء: 58]، والقرآن {أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا} [الشورى: 52]، والرحمة {وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ} [المجادلة: 22]، والحياة {فَرَوْحٌ

---

[1]- نفسه، ص685.

[2]- نفسه، ص686.

[3]- نفسه، الصفحة نفسها.

[4]- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص328.

وَرَيْحَانٌ} [الواقعة: 89]، وجبريل {فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا} [مريم: 17]، وملك عظيم {يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ} [النبأ: 38]، وجيش من الملائكة {تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا} [القدر: 04] وغيرها من معاني الهدى والسوء والرحمة والفتنة...

ثالثا: من آليات المنهج السياقي لفك الغموض الدلالي في التراكيب القرآنية:

بين التراكيب العربية وبين اللبس في معانيها ودلالتها صعوبة لا تخفى على الدارسين والمتكلمين بها نتيجة لتعدد الاحتمالات المتعلقة بها، وقد ردهما الدكتور تمام حسان عموما إلى قرينتين لفظيتين وهما: قرينة التضام وقرينة الربط، وتشمل الأولى "ما يسمى الاختصاص ودخول اللفظ على اللفظ وامتناع ذلك، كما يشتمل على ما يسم شروط الأحكام النحوية...

ومن أمثلة الاختصاص أن حروف الجر تختص بالأسماء وأن الجوازم تختص بالأفعال، ومن أمثلة دخول اللفظ على اللفظ أن "ما" التعجبية لا تدخل إلا على "أَفْعَلَ"، وأن العطف بعد همزة التسوية يكون بـ"أم"، ومن أمثلة امتناع ذلك إضافة الضمير إلى غيره وكذلك وصفه، ومن أمثلة شروط الأحكام ما يشترط لتقديم الخبر أو وجوب تأخيره"[1].

ويقصد بالربط "ما نلاحظه من عود الضمير ووظائف حروف المعاني الداخلة على المفردات والجمل من عطف أو استثناء أو استدراك أو شرط أو تقديم لأحد الأجوبة أو غير ذلك"[2].

ومن المواضع التي يثبت فيها حضور الأدوات السياقية فعاليتها في صور الالتباس في المعنى ورود حرف عطف بين تركيبين، وهذا موجود في القرآن الكريم، فقد يسبق حرف العطف (الواو مثلا) لفظان يصلح لكل منهما من حيث التركيب أن يعطف عليه ما بعد الواو، وهنا مكمن اللبس، فلا يعلم على أيهمها يكون العطف، وآليات السياق يكمن في هذا الموضع المساهمة في توجيه المعنى وإبعاد اللبس، ففي قوله تعالى: { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران: 18]، فالواو من الناحية الشكلية عطفت الملائكة على لفظ الجلالة، ويمكن أيضا أن تعطف الملائكة على الضمير (هو) تعالى الله عن ذلك، أي أن المعنى المقصود أن الملائكة آلهة مع الله ومع أولي العلم، ولكن سياق التركيب القرآني ينبئ عن معنى آخر مخالف تماما لهذا، فالألوهية في هذه الآية يتفرد بها الله سبحانه وتعالى دون غيره، والدليل على ذلك من سياق الآية نفسها المتمثل في:

- أن الحال (قائما بالقسط) جاء على صيغة الإفراد دون المثنى أو الجمع.

---

[1]- تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ج2، ص42.

- وينظر أيضا: عرابي أحمد، أثر التخريجات الدلالية في فقه الخطاب القرآني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2010، ص71.

[2]- تمام حسان، نفسه، ص42.

- أن آخر الآية نص صراحة على تفرد الله بالألوهية حين قال تعالى: (لا إله إلا هو العزيز الحكيم).

ومن صور غنى تراثنا العربي أفكار عديدة تتفق تماما مع نتائج الدرس اللغوي الحديث في آخر ما توصل إليه من براهين ونظريات من تلك المظاهر: التحليل في النحو العربي وصوره الكثيرة كالإبدال والنقل والقلب والحذف... والتفسير الذي يلجأ إليه أحيانا بالعودة إلى ما يقضي به أصل الجملة، فيقدرون فعلا محذوفا مثلا يفسر لهم التركيب الظاهري استناداً إلى السياقات التقديرية لمعنى التركيب، وهذا المفهوم نفسه هو السائد في نظرية تشومسكي التوليدية التحويلية التي تلجأ عند ورود اللبس في التركيب إلى ضم عنصر آخر يسمى الطاقة التفسيرية تماشيا مع ما يمكن أن يفرضه السياق المركب، بمعنى أن "البنية السطحية (المستعملة) إذا تطرق إليها اللبس بتعدد ما يتحمل أن يكون مقصوداً بها فإن النحو التوليدي يرجع هذه البنية الاستعمالية السطحية إلى بنية عميقة بعينها، فيذهب عنها بقية ما تحتمله من المعاني"[1].

ومن الشواهد القرآنية التي تفرض عليها فيها مسايرة السياق مظاهر التعليل والتفسير تحقيقا للمعنى الصحيح للتركيب القرآني، قوله تعالى: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [آل عمران: 173-175].

إن البنية السطحية للآية تشير إلى دلالة واضحة وهي أن الشيطان يخوف أولياءه هو، ولكن بتوظيف القرائن السابقة وتتبع سياق الآيات إلى آخرها يكشف لنا بنية عميقة مغايرة تماما للأولى، فالتقدير (إنما ذلكم الشيطان يخوفكم أولياءه) أي أن الشيطان يخوف المسلمين من أولياءه بدليل السياق الموالي للآية (فلا تخافوهم) أي لا تخافوا أولياء الشيطان الذين خوّفوا منهم بداية الآيات (إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) وهذا دليل آخر على صحة دلالة الرأي الثاني على الأول.

ومن أمثلة الآيات القرآنية الكثيرة التي عرض فيها طرفان أو أكثر حججهم في تخريجهم لدلالة الآية وفهمهم لمعناها مع معارضة خصومهم بأدلة وحجج مناقضة لما قدموه، قوله تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (32) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ} [فاطر: 32-33]، والإشكالية الدلالية المطروحة هنا هي: هل واو الجماعة في قوله تعالى (يدخلونها) ترجع إلى الأصناف الثلاثة (ظالم لنفسه)، (مقتصد)، (سابق بالخيرات)؟ أم يرجع إلى الصنف الأخير فقط؟ وانقسام الدارسين هنا واضح فقد انقسموا إلى رأيين: الأول يرى مرجعيته (الواو) في يدخلونها إلى الصنف الأخير فقط، ويعرض للقرائن الدالة على ذلك من القرآن نفسه، ففي قوله

[1]- تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ج2، ص278.

تعالى: {وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} [الجن: 23]، وقوله تعالى: {بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: 81].

ومن ردود معارضيهم على استشهاداتهم هذه لأن المقصود بالعصيان في الآية الأولى (سورة الجن: 23) عصيان التوحيد أي المقصود هو الكفار، أما الآية الثانية (سورة البقرة: 81) فالمقصود بالخطيئة هنا هو الشرك، وبنقضهم لمذهب الطرف الأول وعرضهم للحجج فإنهم يؤكدون من جهة أخرى على رؤيتهم للأمر وتخريجهم الدلالي الخاص للآية، والمقصود عندهم أن (الواو) في (يدخلونها) يعود على الأصناف الثلاثة المذكورة في الآية، ودليلهم في ذلك من الذكر الحكيم أيضا قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ} [النساء: 48]، وقوله تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر: 53]، ومن الردود المناقضة لرؤيتهم الدلالية من الطرف الآخر، تعليقهم على الآية 48 من سورة النساء بأن المقصود أن الله لا يغفر لمن لم يتوب ويغفر لمن تاب، أو الآية 53 من سورة الزمر فيرون أن مغفرة الله مشروطة بالتوبة.

يتبين لنا أن التأويل الحقيقي المنتج لدلالة النصوص سيلتزم أن تكشف الدلالة اللغوية عن المقاصد العميقة لصاحب النص، ولا يتحقق ذلك إلا بعد تحليل ومقارنة مستويات السياق الذي تقتضيه آليات الخطاب القرآني[1].

ويظهر من جهة أخرى أيضا أن التحليل الدلالي الذي يتجاهل هذه الآيات في النص قد تتيه به السبل كالذين تنالوا النص معزولا عن السياقات التي وضع فيها، وغلبوا الاستئناس العقلي على النصي[2].

تعدت الدراسات الحديثة في دراستها لعلاقة المبنى بالمعنى إلى بحث العلاقة بين المباني والبواعث النفسي للحركة، واتفقت تقريبا على تعريف للسياق الذي ينبغي أن يشمل "لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحق فيه، بل والقطعة كلها والكتاب كله، كما ينبغي أن يشمل كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق به الكلمة"[3].

---

[1]- ينظر: عبد الحميد أحمد هنداوي، الإعجاز الصرفي للقرآن الكريم، دراسة نظرية تطبيقية التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2008، ص44.

- وينظر أيضا: عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2007، ص81.

- وينظر أيضا: محمد أحمد خضير، التركيب والدلالة والسياق دراسات تطبيقية، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر، دط، 2005، ص134.

[2]- عرابي أحمد، جدلية الفعل القرائي عند علماء التراث، دراسة دلالية حول النص القرآني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2010، ص177.

[3]- ستيفن أولمان، دور الكلمة، ترجمة كمال بشير، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ص68.

وهذا المفهوم يتوافق كثيرا مع ما فهم علماؤنا القدامى الذين لم يناقشوا الموضوع نظريا بل مارسوه تطبيقيا وخاصة على نصوص القرآن الكريم، وحددوا في مواضع كثيرة جدا دون السياق وتحويله لدلالة اللفظ الأصلية إلى دلالة ثانوية[1].

خاتمة:

توصلت هذه الدراسة بعد بحثها لجوانب حضور وتطبيق مفهوم السياق وآلياته وأهميته في تراثنا العربي إلى مجموعة من النتائج، من أهمها:

- إن أغلب القواعد النحوية والقرائن اللغوية استمدها العلماء القدامى من القرآن الكريم، استغنوا عن نصوصها وساقوا معانيها في صورة أدلة عقلية.
- أكد البحث على أن علماء اللغة والأصوليون وهم يدرسون الظاهرة اللغوية أن المخاطب بالنصوص الشرعية لا يمكن عزله عن ظروفه الاجتماعية فالتزموا نظرية السياق العام في أسمى معانيها.
- قد يذكر أكثر اسم في السياق اللغوي ويعود الضمير إلى أحدها، فيلجأ الدارسون إلى تفسيرات نحوية دلالية في تحديد مرجع الضمير، وقد تجبرهم تلك التفسيرات الدلالية إلى ظروف خارج النص هي سياق الحال فيحكمونها في موضوع دراستهم.
- لنظرية السياق أهمية كبيرة في معرفة الدلالة الكاملة للأحداث اللغوية البشرية منها والقرآنية البسيطة منها، وبالاعتماد على المفردات اللغوية وظروف وملابسات النص الكريم.
- عرف علماء اللغة العربية عناصر النظرية السياقية في كثير من القضايا النحوية كالحذف والتقدير والإعراب والتضاد والمشترك اللفظي غير أن الجانب التطبيقي طغى على الجانب التنظيري عندهم.
- الاختلاف في أبنية اللغة العربية وتراكيبها لغة القرآن الكريم يترتب عليه اختلاف في توجيه الدلالة والوقوف على المعاني المقصودة، وأسباب ذلك تعدد تلك الأبنية من جهة والخلاف في دلالة كل صيغة أو بنية صرفية أو توجيه إعرابي داخل السياق من جهة أخرى.
- المعنى العام للسياق من غير الحركات الإعرابية (أبرز قرائن الدلالة ولها معظم الفضل في بيان دلالة التراكيب اللغوية) قد يكون عرضة للبس والوهم في كثير من المواضع كما في قوله تعالى: {أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ} [التوبة: 03]، فالاقتصار على المعنى العام لسياق الآية الكريمة بمعزل عن الحركات الإعرابية يقودنا إلى معنى يتنافى مع المعنى المراد منها ظاهريا.

[1]- ينظر: محمد الأمين خويلد، دلالة البنى النحوية والسياقية عند ابن جني في كتاب الخصائص، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2015، ص94.

- أكد البحث على أثر القرآن الكريم في نشأة العلوم اللغوية ومنها علما المعجمية والدلالة، إضافة إلى علم التفسير القائم في أكثر وجوهه على علمي المعجمية والدلالة، وهو في الحقيقة قرين للعلمين السابقين مادام المقصود منه كشف المراد عن اللفظ المشكل، وبيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازا.
- الدعوة إلى إعادة قراءة النحو من خلال القرآن الكريم في ضوء منحى جديد في النحو يستند إلى قواعد بناء النصوص، وعلى أساس المعاني لا الأشكال، واعتماد قرائن والسياق.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط2، 1973.
2. ابن هشام، جمال الدين بن محمد، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، دط، 1985.
3. أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دس.
4. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط2، 1973.
5. أحمد محمد معتوق، نظرية اللغة الثالثة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2005.
6. تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ج2، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2006.
7. جدلية الفعل القرائي عند علماء التراث، دراسة دلالية حول النص القرآني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2010.
8. حسان تمام، مقالات في اللغة والأدب، ج2، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2006.
9. الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ج1، مؤسسة دار الهجرة، إيران، ط2، 1405هـ.
10. ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق إحسان عباس، سلسلة التراب العربي، بيروت، لبنان، دط، 1962.
11. ستيفن أولمان، دور الكلمة، ترجمة كمال بشير، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة.
12. عبد الحميد أحمد هنداوي، الإعجاز الصرفي للقرآن الكريم، دراسة نظرية تطبيقية التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2008.
13. عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، مصر، ط1، 1981.
14. عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق، ط1، 1991.

15. عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2007.

16. عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2007.

17. عرابي أحمد، أثر التخريجات الدلالية في فقه الخطاب القرآني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2010.

18. عمار ساسي، تحليل النص الأدبي ومبدأ ربط النحو بالبلاغة، مجلة اللغة والآداب، ع8.

19. فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، دار عمان، الأردن، ط4، 2006.

20. محمد أحمد خضير، التركيب والدلالة والسياق دراسات تطبيقية، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر، دط، 2005.

21. محمد الأمين خويلد، دلالة البنى النحوية والسياقية عند ابن جني في كتاب الخصائص، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2015.

22. محمد بن القاسم الأنباري، كتاب الأضداد، تحقيق مجد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، دط، 1987.

23. محمد محمد داود، القرآن الكريم وتفاعل المعاني، دراسة دلالية لتعلق حرف الجر بالفعل وأثره في المعنى في القرآن الكريم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2002.

24. محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دار النشر للجامعات، مصر، ط1، 2005.

25. هادي نهر، النحو القرآني الدلالي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2018.

26. هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2008.

27. هناء محمود إسماعيل، النحو القرآني في ضوء لسانيات النص، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2012.